المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-11-2006
الصفحـات : 51
العـــدد : 15900
المسلسل : 253

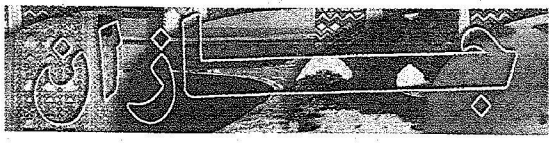

ملف صحفي

ضَمَد: مدينة للعلم والأدب .. والعلماء والشعراء

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-11-2006 العـــدد : 15900
الصفحـات : 51 المسلسل : 253

علي ابراهيم خواجي- ضمد

هجرة العلم .. مهاجر العلماء، ذلك هو الوصف الذي كان يطلق قديما على (ضمد) المدينة الحالية، و(مدينة العلم والعلماء، والأدب والشعراء) وصفٌ لا مبالغة فيه للمدينة التي احتلت مكانة مرموقة فيما كان يُعْرَفُ بالمخلاف في العصور القديمة، و منطقة جازان في العصور الحديثة.

ولقد تداولت كتب التاريخ والتراجم كثيرا مقولة : إنه (اشتهر على الألسنة [منذ قرون] أن ضمد لا يخلو من عالم مجتهد محقق، أو شاعر أو أديب بليغ ...)

وقد سبق تاريخ ضمد العلمي والأدبي، اسمها الحالي . كما أنها كانت تعرف بمسمى نجران . وقد أشار إليها شاعرها وشاعر المخلاف السليماني في القرن السابع الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، في إحدى قصائده حيث قال :

يا أحمد بن عليٍّ دعوةَ مخلص
ناداك من (ضمد) فكنت مجيبًا
أغنيتني وكفيتني في بلدة
كنت الغريب بها ولستُ غريبا

وقد تحدث عن مكانة ضمد العلمية والأدبية، العديد من المؤرخين . إذ قال عنها ابن أبي الرجال مؤرخ القرن الحادي عشر في كتابه «مطالع البدور»، «وهذه الهجرة (الضمدية) عمرها الله بالتقوى، مطالع لشموس العلم والآداب، حتى اشتهر على الألسنة أن ضمد لا يخلو من عالم مجتهد ...» ثم أفاض في المدينة إلى أن استشهد بقول شاعرها (أحمد بن قنبَر الضمدي):

ما (ضمد) ياصاح إلا جنة
وهل تساوي جنة جهنم
نسيمها وتربها من عنبر
وماؤها الكوثر عذب شبم
إذا تغنّى سحرا قمري بها
أيقظ منها من نيامٌ يغتنموا
وإن تلا الأسحار في مسجدها
تالٍ به،عنك يزول السقمُ
لا يُهتكون حرمة الجار ولا
يعرف عيب منهمُ أو فيهمُ

وقال عنها الحسن بن أحمد عاكش . أحد أبرز علمائها وأدبائها في القرن الثالث عشر وأبرز علماء المخلاف في عصره .في كتابه الديباج الخسرواني : « وقد تتبعت بحسب ما اطلعت عليه من علمائها قديما وحديثا، فأنافوا على مائة عالم فيهم من اتصف بكمال التحقيق، وفيهم من اطلع على سائر العلوم تفسيرا وفقها، وحديثا وأصولاً، وعربية، وغير ذلك من سائر العلوم العقلية والنقلية . وفيهم من صنف وتصانيفه موجودة» .

وممن ذكرها من المؤرخين والباحثين القدامى العلامة (ابن

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-11-2006 العـــدد : 15900
الصفحـات : 51 المسلسل : 253

الأثير) بكتابه «غريب الأثر» والهمداني صاحب كتاب (وصف جزيرة العرب). وصاحب كتاب: (الرياض الأدبية...) أحمد بن طاش ت٥٥٣هـ وسليمان بن الجون الأشعري ت ٦٥٢هـ، والإمام الشوكاني صاحب فتح القدير، في كتابه (البدر الطالع...) حيث ترجم لعدد من علمائها وأدبائها.

ومـمـن ذكـرهـا مـن المؤرخين المحدثين : أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) وخير الدين الزركلي في كتابه (الأعـلام)، والحبشي بـ(مصادر الفكر العربي الإسلامي) والمستشرق (كارل بروكلمان) في تاريخه الأدبي.

وعُدَّ تاريخ ضمد العلمي والأدبي مصدر أساسي لمعظم كتابات مؤرخ جازان الشهير الأستاذ الأديب (محمد بن أحمد العقيلي) رحمه الله. والشيء ذاته ينطبق، على الباحث الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش، الذي استمد منها معظم كتبه وأبحاثه، واصفاً مكانتها العلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر بقوله : « وتعتبر مدينة ضمد من أشهر المدن العلمية في المخلاف السليماني، ولذلك لما شهدته من نشاط علمي، في الحلقات العلمية».

وذلك إلى جانب كتب أبناء منطقة جازان وأبناء ضمد المعنية بالحركة العلمية والأدبية.

والحديث عن ضمد لا ينفك ارتباطا بـ (الشقيري)، المدينة المتاخمة لضمد، التي اختط السكن بها العالم النعمان جدّ أسرة آل النعمان، بعدما كان مقيما وأسرته في ضمد، ومن أهم أعلامها مع كثرتهم، العلامة عبد الله بن علي النعمان صاحب كتاب «العقيق اليماني لحوادث ووفيات المخلاف السليماني». الذي يقول عنه المؤرخ العقيلي في تاريخه الأدبي ج١ص٣٩٢، إنه [أي كتاب العقيق] من أحفل تواريخ المخلاف السليماني وأشملها لتاريخ ما يقارب من ثلاثمائة وخمسين سنة، فيه من المعلومات، لتاريخ المنطقة[منطقة جازان] ما لا يوجد في مصدر غيره».

وتبدو الصعوبة، عقب ما تقدم ذكره، من ازدهار الحركة العلمية والأدبية بمحافظة ضمد، في أن يستطيع الباحث اختصار الحديث ليكون مقبولا ومرضياً، لتاريخ ممتد لثمانية قرون.

غير أنه بحسبنا هنا الإشارة إلى أن البداية الموثقة في الموجود من الدراسات والأبحاث أن (الحد المعلوم) من تاريخ ضمد العلمي والأدبي بدأ مع بزوغ نجم شاعرها القاسم بن هتيمل الضمدي، ومعاصره منصور بن سحبان. وتوالت عقبهما الأسماء اللامعة في سماء العلم

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-11-2006 العـــدد : 15900
الصفحـات : 51 المسلسل : 253

والأدب، منذ ذلك القرن، حتى عصرنا الحاضر . ولم يخل قرن من القرون الثمانية من وجود كوكبة تنهض بالحركة العلمية والأدبية. من أبرزهم الأعلام من الأسر العلمية (آل القاضي أحفاد ابن عمر) و(آل عاكش)، و(آل النعمان)، و(آل البهكلي)، وغيرها من الأسر، والأعلام . على أن أشهر هؤلاء الأعلام الشاعرالقاسم ابن علي بن هتيمل العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي بالقرن العاشر، والحسن بن أحمد عاكش بالقرن الثالث عشر . إلى جانب العلماء والأدباء الذين برزوا من القبائل المعروفة التي سكنت ضمد. كالوزير العلامة الحسن بن خالد الحازمي، والإمام المحدث محمد بن ناصر الحازمي والعلامة الشاعر أحمد بن محمد الضحوي المعافى، والعلامة محمد بن علي بن حسين المعافى،والعلامة مطهر بن دايل الحازمي،والعلامة ناصر بن علي الحازمي .....

وإذا عرفنا أن أكثر من (٢٦) علماً إلى نهاية القرن الثالث عشر فحسب، قد ترجم لهم العقيلي في الجزء الأول من كتابه التاريخ الأدبي، ناهيك عن أضعافهم ممن ترجم لهم بجزءي كتابه الثاني والثالث، وناهيك عن غيره من المؤلفين والمؤرخين (القدامى والمحدثين) الذين ترجموا لعلماء ضمد وأدبائها، بالعديد من المؤلفات —إذا عرفنا ذلك كله عرفنا مقدار الاختصار المخل الذي لا يفي بذلك التاريخ الثري علما وأدباً وأعلاما .

ولعل أقوى دليل يبرهن على ما تقدم ذكره، أن الكتب المطبوعة (فحسب) التي ظهرت بعصرنا الحديث لأبناء محافظة ضمد، أو عن حركتها العلمية قد وصلت إلي ما يزيد عن (خمسة وخمسين) مؤلفا متنوعا في العلوم الشرعية، واللغوية، والتاريخ والتراجم، ما بين كتاب محقق، ورسالة علمية أكاديمية وكتاب إبداعي (دواوين شعرية ومجموعات قصصية، وكتب نقدية)،وذلك عدا المخطوطات العلمية التي لم تحقق بعد، مما تبقى من تراث ضاع الكثير منه ولم يصل إلينا سوى النزر القليل منه، وعدا الرسائل العلمية الأكاديمية التي لم تطبع، إلى جانب الأعمال التي في طريقها للطبع .

وإذا كان هذا المقدار من المؤلفات موجودا حقيقية بين أيدينا، فإن ذلك مما يؤكد الحقائق السابقة، ويكشف عن صعوبة التطرق بإيجاز إلى ما هو بحاجة إلى رسالة علمية تفيه حقه . وهو ما تقوم به حاليا إحدى الجامعات السعودية التي تبنت رسالة علمية عن تاريخ ضمد العلمي . ولعلنا نكتفي في ختام هذه اللمحة السريعة بعرض مصورات لبعض النتاج العلمي المشار إليه على أنه يمكن الاستزادة، لمن أراد التقصّي والتوسع، من خلال الاطلاع على كتب التراجم، والتواريخ الحديثة والقديمة المعنية بتاريخ منطقة جازان خاصة، وتاريخ الجزيرة العربية عامة.

محافظة ضمد : الحاضر الزاهي في العصر السعودي المعطاء

تقع مدينة ضمد شرق مدينة جازان بنحو (٥٠)كيلومتراً تقريبا، وجنوب شرق محافظة صبياء ب(٢٣) كيلومتراً، وشمال محافظة أبي عريش بـ(٢٠) كيلو متراً. وتقع على الضفة الشمالية لوادي ضمد الخصيب الواقع شمال وادي جازان، وجنوب وادي صبياء، ويمتد من أعالي الجبال الواقعة في الجهة الشرقية إلى أن يصب في البحر الأحمر غربا . ويتناثر حواليه عقد من المدن والقرى من أكبرها وأشهرها مدينة : «ضمد» التي حملت مسمى الوادي، ومدينة الشقيري إلى الشرق، وقرى خضيرة، والطاهرية إلى الغرب، والحرجة والجهو، والقمري إلى الجنوب وغيرها . ولاشك بأن لماضي محافظة ضمد نكهة خاصة لكن حاضرها الزاهي المتعطر بأريج الماضي يتميز بطعم فريد فهو حاضر يتفيأ ظلال نهضة شاملة لا تقتصر على التعليم وحده ولكنها تشمل سائر مناحي الحياة الاجتماعية والصحية والعمرانية والزراعية ففي مجال التعليم تضم محافظة ضمد العديد من المدارس وقد ساهم آلاف من أبنائها الشباب في خدمة أمتهم ووطنهم في كافة المجالات بعد أن أكمل عدد كبير منهم تعليمهم الجامعي والأكاديمي فأصبحت ترى المعلم والضابط والمهندس والطبيب إلى جانب عضو هيئة التدريس في الكليات والقضاة في المحاكم . وفي مجال الخدمات تنعم المدينة بتوفر الخدمات الضرورية كشبكة المياه وشبكة الكهرباء العامة والخدمة الهاتفية إلى جانب الخدمات الصحية والزراعية المتنوعة كما تشهد المحافظة نهضة عمرانية شاملة اختفت في ظلها أساليب العمران القديمة .

ولقد اهتمت الدولة بالحركة العلمية في هذه المحافظة فأنشأت المدارس ووفرت لها المباني الحكومية أو المستأجرة للبنين

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-11-2006
الصفحـات : 51
العـــدد : 15900
المسلسل : 253

والبنات

ويوجد بالمحافظة ثلاث وثلاثون مدرسة ما بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية في ثلاثة وعشرين مبنى حكومي وتسعة مبان مستأجرة يزيد عدد الطلاب فيها عن ستة آلاف طالب ويأتي في مقدمتها مدرسة ضمد الابتدائية التي أسست عام ١٣٧٢هـ والتي تسمى حاليا بمدرسة الملك فيصل والمعهد العلمي في ضمد الذي تأسس عام ١٣٩٩هـ .

كما يوجد بالمحافظة العديد من المدارس التي تعنى بتعليم البنات حيث يوجد فيها خمس وثلاثون مدرسة وفرت لها الدولة ثمانية عشر مبنى حكودياً وسبعة عشر مبنى مستأجراً يبلغ عدد الطالبات فيها ستة آلاف وخمسمائة طالبة بين مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية وتحفيظ للقرآن الكريم ورياض للأطفال .

، وأكد الشيخ علي خليل ابو ديه شيخ شمل ضمد بأنه من خلال هذه الزيارة نجدد الولاء والطاعة لخادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين ونفخر بهم ولاة أمرنا والمنطقة اكتست بالبيض ابتهاجا بقائد المسيرة عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، ويقول الشيخ احمد رشيد الحازمي إن أبناء المنطقة في شوق كبير لهذه الزيارة الميمونة لخادم الحرمين الشريفين فهي بالنسبة لنا حلم يراود جميع أبناء المنطقة ونشعر بالفخر ونحن نلتقي بابي متعب في المنطقة فهذا انجاز وتشريف من رجل الكرمات عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، وأكد الدكتور حسن بن حجاب الحازمي عميد كلية المعلمين بأن الزيارة تجسد حرص القائد على الالتقاء بأبنائه وتلمس احتياجاتهم والوقوف على ما يقدم من خدمات للمنطقة، وتحدث الأستاذ محمد بن عبد الله الصم أن القلوب يختلجها شعور بالفخر والسعادة والنفوس يعتليها شعور بالأمل أن تحظى المنطقة بزيارة خادم الحرمين الشريفين وصحبه الكرام والمشاريع التي سيفتتحها سموه ستساهم في دفع عجلة التنمية في المنطقة، وقال الشيخ احمد بن علي عريشي عريفة قبيلة العراشية بضمد إن زيارة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده للمنطقة ستضاعف حبهم في قلوب شعبهم وستتمخض عن هذه الزيارة العديد من المشاريع التنموية التي ستساهم في دفع التنمية في المنطقة، وتحدث الأستاذ خالد قصير ان هذه الزيارة من قائد التنمية لأبنائه في جازان لهو الحب الحقيقي من أب حاني لأبناء بررة وانه يؤكد للمواطنين مبادلتهم حبا بحب فهذا هو ملك الإنسانية عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله، وتحدث الأستاذ إبراهيم معافى على أنها لحظات سعيدة يعيشها أبناء جازان بمقدم خادم الحرمين الشريفين والمشاريع التنموية التي يفتتحها ليكتمل بها عقد الانجازات وليطلع أيده الله على الاحتياجات التي تحتاجها المنطقة.

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 04-11-2006
الصفحـات : 51
العـــدد : 15900
المسلسل : 253

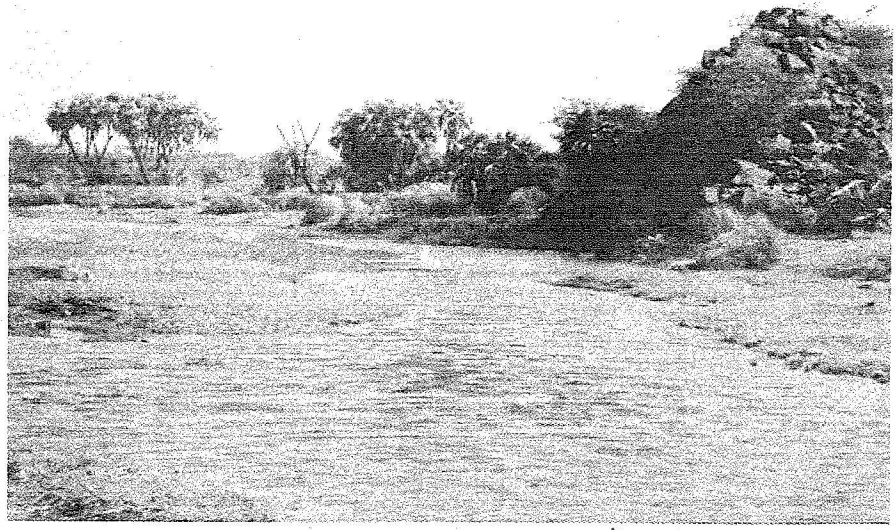

جمال الطبيعة فى ضمد يترافق مع جمال الشعر والأدب